حلقة بحث بعنوان :

# الخطابة بين العلم والفن

تقديم الطالب : جعفر أحمد اسكاف
الصف: الثاني الثانوي
تاريخ :٢٠١٥-٢٠١٦ م
إشراف المدرّس: محسن حيدر

الفهرس

المقدمة.....٣

الفصل الاول : الخطابة ونشأتها

أولا : تعريفها.....٤

ثانياً : نشأة الخطابة.....٥

ثالثاً : لماذا نحتاج للخطابة؟؟؟ .....٦

رابعاً : وظائف الخطابة و قيمتها.....٧

خامساً : الخطابة بين العلم والفن.....٨

الفصل الثاني : الخطابة في الجاهلية

أولاً : الخطابة في الجاهلية وأهم أغراضها.....٩

ثانياً : أشهر الخطب والخطباء في الجاهلية.....١١

ثالثاً : الخطابة عند العرب.....١٢

الفصل الثالث : أنواع الخطب وخصائصها

أولاً : أنواع الخطب.....١٣

ثانياً : خصائص الخطب.....١٥

ثالثاً : فوائد الخطابة في نشر الدعوة.....١٨

# المقدمة

تعد الخطابة فناً يعبر فيه الإنسان عن رأيه ويوضح أفكاره و يبني هدفه وهي فن قائم بذاته، مستقل بموضوعاته له قواعد وآداب كأي فن آخر، ويعد فن الخطابة فرعاً من فروع الفلسفة وذلك بأن الخطابة أحد أقسام المنطق إذ أنها من الصناعات الخمسة وهي النوع الثالث المسمى بالقياس الخطابي بعد كل من البرهان والجدل.

سوف نقوم في هذا البحث بإيجاد أصل الخطابة ومنشأها من فلاسفة اليونان إلى أرسطو الذي يعد أول من نادى باستقلالية الفن الخطابي عن الفنون الأخرى. وهنا لا بد من عرض الجانب التاريخي لمعرفة كيف تطورت ونمت منذ نشأتها وحتى الآن. ولكن واجهتنا مشاكل عديدة ومنها كثرة المصادر وصعوبة استخلاص ما هو مفيد منها. ونحن هنا سنصل إلى خارطة ذهنية توضح لنا الخطابة منذ نشأتها وحتى الآن، ولكن ما هي الخطابة؟؟؟ أهي علم أم فن؟؟؟ ما هي خصائصها؟؟؟ما سبب نشأتها ؟؟؟ما هي أقسامها؟؟؟ وفي أي المناسبات تقال؟؟؟ سنرى.....

# الفصل الأول :

# الخطابة ونشأتها:

## أولاً : تعريف الخطابة:

لغة: تأتي من الخطب والمخاطبة وتعني مراجعة الكلام، وتأتي من الفعل يخطب و هي الكلام المنثور المسجوع وهو مثل الرسالة لها أول وآخر[١].

اصطلاحاً: هي علم البلاغة وليس الغرض منها تعليم الكلام البليغ فحسب، لكن عرض الأفكار بطريقة مقنعة.

وفي المعجم الوسيط تعرف الخطابة بأنها ( فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته والخطيب هو الحسن الخطبة ومن يقوم بالخطابة في المسجد وغيره ولذا هو القائم بعملية الخطابة لأنه يقنع الناس بفكرة معينة )[٢].

وتعرف الخطابة بأنها ( مجموعة القوانين التي يقتدر بها على الإقناع في أي موضوع يراد وبذلك يحمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل )[٣].

أما أرسطو فقد عرفها على أنها ( الإقناع في أي موضوع سواء كان يتناول الصحة أو الهندسة )[٤].

ونصل من التعاريف السابقة إلى أن الخطابة هي ( فن الكلام الجيد المنتظم وذلك لأن الخطيب ينتقي الكلام الجيد في خطابته )[٥]. وبناء على ذلك يتحكم الخطيب بمشاعر المستمعين حيث أن الخطابة تشكل حلقة وصل بين الخطيب والجمهور فكلما كان الخطيب متمكناً ازدادت شعبيته.

وفي النهاية نصل إلى أن الخطابة هي:

١. كلام منثور مسجع.
٢. لها ارتباط بفن البلاغة ويقال هي البلاغة.
٣. إنها فن المشافهة وتحكم بقوانين الإقناع العامة.
٤. إنها فن الإقناع والكلام الجيد.

---

[١] بتصرف، ابن منظور، لسان العرب،بيروت- لبنان، صفحة ٣٦١.
[٢] المعجم الوسيط، صفحة ٢٤٣.
[٣] علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، بيروت، صفحة ١٣.
[٤] أرسو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي: ١٩٨٠م، بغداد، طبعة أولى، صفحة ٢٩.
[٥] أحمد محمد، فن الخطابة، القاهرة،١٩٧٢م،الطبعة الرابعة، صفحة ٥.

٥. وهي دليل على العلم وهي جزء منه وتستخدم لتوضيحه وشرحه.

## ثانياً : نشأة الخطابة:

بعد انتهاء الحرب بين الفرس واليونان ازدهرت العلوم مثل الشعر والفنون والرياضيات وغيرها فظهرت عوامل ساعدت على ظهور الخطابة وقامت في نفس الوقت الحركة الديمقراطية لذلك قيل ( الخطابة وليدة الديمقراطية )[٦].

وتطور فن الخطابة وظهر خطباء مثل بركليس فقيل أنه كان ( يتغلب على خصومه، فقد عرف بقدرته الفائقة على الكلام، لذا عرف بالأولمبي لمواهبه الفكرية والخطابية التي صقلها لاتصاله بكبار مفكري عصره )[٧]

وبسبب هذه التحولات السياسية كان لا بد من أن تحتل الخطابة محل الصدارة بين العلوم والفنون، ولقد كان لظهر الخطابة أسباب كثيرة منها حاجة المواطنين لاسترداد حقوقهم وممتلكاتهم التي صادرها الطغاة، فكانوا بحاجة إلى من هو أبلغ وأفصح منهم لتولي أمر إقامة الدعاوى، وكان أشهر الخطباء في ذلك الحين كوراكس وتسياس وأخذا يضعان القوانين والقواعد والأساليب التي تتيح للمرء إذا اتبعها أن يصبح خطيباً مفوهاً، ومن هنا قيل أن هذين الاثنين هما مؤسسا فن الخطابة، ومما ساعد أيضاً على نشوء هذا الفن تعدد المواهب الخطابية. وقد صاحبت الهداية الربانية البشرية من أول يوم وجاء بها رسل الله سبحانه وتعالى ، قال في محكم التنزيل :{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ }[٨]

وكان رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين روادا لأممهم وخطباء لشعوبهم . يهدونهم إلى الطريق المستقيم ويبشرونهم بالفوز والسعادة ويحذرونهم من طرق الغواية ومن مزالق الشيطان وعواقب الخسران. ولهذا بعثوا ومعهم الحجة والحكمة وصدق الله بقوله تعالى :{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}[٩]

وقال تعالى :{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ}[١٠] فهم يعلمون الحكمة ويقارعون بالحجة ويبلغون بالتي هي أحسن بأنصع بيان وأقوم منطق وأفضل كلمة .

وكان مقابلو الرسل ومعاندوهم خطباء وأصحاب كلمة وبيان استطاعوا بهذا استدراج الشعوب والاستيلاء على أفكارهم وعقولهم وأرزاقهم . ولننظر في ذلك إلى خطبة من خطب فرعون لشعبه ، يسفه موسى ويلفت الناس إلى شخصه ومكانته هو قال تعالى :{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) }[١١]، فقد كان فرعون خطيبا بارعاً في سرقة أفكار الناس وعقولهم استخفهم بالكلمة اللعوب والحجة الملتوية والدليل الكاذب ، وقد بين القرآن الكريم ذلك في آياته ، حيث إن تاريخ الأنبياء في الكلمة وفي التبليغ بها معروف ومدون في القرآن الكريم وفي الأحاديث عن رسول الله ﷺ .

---

[٦] أفلاطون، محاورة منكسيوس، ترجمة عبد الله حسن المسلمي، الطبعة الأولى، القاهرة،١٩٧٢م، صفحة ١٠.
[٧] أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، جامعة القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م،صفحة ٢٥٧.
[٨] سورة النساء(١٦٥)
[٩] سورة الأنعام (٨٣)
[١٠] سورة البقرة (١٥١)
[١١] سورة الزخرف، الآيات من ٥١-٥٤

## ثالثاً : لماذا نحتاج الخطابة؟؟؟

عرفت الأمم جميعها هذه الظاهرة الأدبية منذ أقدم الحضارات بيد أن الأثر الأهم لهذا الفن ظهر عند اليونان فكانوا يرون أن لا جدوى من تعلم الفنون من دون الخطابة ويرون ( أن الضرورة تحتم تعلم الخطابة وفن التأثير على المستمعين وكسب الجدل وبأي وسيلة ممكنة )[١٢].

ولقد نجح اليونان في الخطابة لأنهم ( أساتذة العالم القديم والأوسط والحديث ولأنهم رواد النزعة العقلية في العالم أجمع )[١٣].

ومن هنا من المؤكد أن تكون الخطابة ظاهرة عامة في المجتمع اليوناني وهذا يعني تواجد العديد من الخطباء عند اليونان، أما السفسطائيين فقد كانت لديهم مواهب في تعليم الخطابة إذ أبهرت طريقتهم الجديدة العامة من الشعب ولقد طلع بها جورجياس فابهر عقول الأثنيين لجدتها عليهم وفيما بعد تعود الناس الخطابة الجديدة الممتلئة بالسج والتكرار والتزويق اللفظي[١٤].

وكذلك أمتنا العربية منذ أقدم العصور انتشرت الخطابة فيها وبخاصة العصر الجاهلي وامتاز العرب بقوة العارضة واللسان المدرب فضلاً عن الفطرة وسرعة البديهة والارتجال وما تتطلبه المواقف الكثيرة قي الحياة آنذاك وما تتنازع حياتهم عليه من الصراعات الم تباينة من أجل البقاء ولا بد أن سيد القوم يجمع كلمتهم ويوحدهم عند نزول خطر ما أو حدوث أمر عظيم مما يستدعي إلى أن يخطب بهم[١٥]. وتعد الخطابة ( أشد الأنواع الأدبية التزاماً لأنها تهدف إلى التأثير والإقناع معبرة عن عقيدة الخطيب ورؤيته في مشكلات الوجود )[١٦]. وتشتد باشتداد الأزمات التي ترتبط ارتباطاً جذرياً بمصير الجماعة وتقرير مستقبلها وترجيحها بين النزاعات والتيارات التي تحدق بها، وكذلك تمتد حاجة الناس إليها إلى مجالات أخرى فكثير ما يحتاج إليها المشرعون والدعاة إلى المبادئ والسياسيون ونحوهم لإقناع الجماهير فيما يريدون تحقيقه إذ أن تحقيق فكرتهم أو دعوتهم لا تتم برضا الجمهور عنها وقناعتهم بها، والجمهور لا يخضع للطرق الجدلية لأن تعلق الجمهور بالعاطفة أكبر من تعلقه بالتعقل أو التبصر وعليه يحتاج من يريد التأثير على الجماهير أن يراعي مستواها الثقافي والعلمي حيث لا يمكنه أن يخاطب الناس كلها على نفس المستوى. ويستعملها بعضهم على السليقة والآخر يتمرن عليها من أجل حاجات الحياة ولكن كلاً من الوسيلتين يكمل بعضهم بعضاً. ومن أجل ذلك لا بد من الاهتمام بعلم الخطابة ولا سيما بعد كل الاحتياجات لها، لكن الخطابة سلاح ذو حدين حيث تستخدم لنصرة الباطل على الحق فمثلاً عندما قام فرعون بتقليب شعبه على موسى قال تعالى :{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} (٥٣)

---

[١٢] أفلاطون محاورة منكسيوس، عبد الله حسن المسلمي،القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م،صفحة ١٠.
[١٣] تاريخ الفلسفة اليونانية منذ بداياتها وحتى المرحلة الهلنسية، محمد عبد الرحمن مرحبا، بيروت، ١٩٩٣م، صفحة ١٧.
[١٤] بتصرف، السفسطائية ونقدها في الفكر الفلسفي الإسلامي، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة الكوفة، زيد عباس كريم الكبيسي، ١٩٩٠م،صفحة ٧٣.
[١٥] بتصرف، إبراهيم صاحب خليل، الخطاب الإبداعي في الأدب الجاهلي، صنعاء١٤٢٤ه، طبعة أولى، صفحة ٣٦٠.
[١٦] الخطابة لأرسطو،ترجمة إبراهيم سلام، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، صفحة ٩٠.

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) }[١٧]، فقد كان فرعون خطيبا بارعاً في سرقة أفكار الناس وعقولهم استخفهم بالكلمة اللعوب والحجة الملتوية والدليل الكاذب ، وقد بين القرآن الكريم ذلك في آياته كما ذكرنا سابقاً. وقال أرسطو: ( وقد تؤدي إلى الخير كثيراً لو حسن الانتفاع بها وقد تؤدي إلى كثير من الشر لو أسيء تطبيقها )[١٨].

## رابعاً : وظائف الخطابة:

يعد الفلاسفة اليونان أول من روج للخطابة فلقد ( جاب بعض الخطباء بلاد اليونان، وخطبوا في موضوعات متخيلة على جموع الناس في الأندية والمؤتمرات )[١٩].ويعد أرسطو أول من بين أهمية الخطابة فقد وضع دستوراً للخطابة وحدد وظائفها فكان لكتاب الخطابة أثر امتازت به مدينة أثينا فكان خطباؤها بلغاء وكان وظيفة الخطابة أن تجعل المخاطب مهتماً جدّاً ومشدوداً للخطبة والخطيب مولعاً بالخطابة ومن هنا كان للخطباء دور عظيم في الدولة[٢٠]. أما افلاطون فقد عد الخطابة وسيلة لتحقيق الخير واالحق وغرس الأخلاق الفاضلة وجعل عدة الخطيب فضله وسمو نفسه وهذا يعتمد على قدرته البلاغية وسرعة بديهته[٢١].

وكذلك نظر السفسطائيون لهذا الفن في كونه ( قدرة أو مهارة تجعل ممن يحوزها قادراً على النفاذ إلى سامعيه وهذه القدرة تعتمد على نظام التأليف نفسه أكثر منه على قيامه على حقائق ثابتة وهو ما دفعهم إلى التركيز على اللغة والأسلوب وما يرتبط بهما من أصول تحقق الإقناع )[٢٢]. واتفق عامة الباحثين على أن ارسطو ( أول من وضع كتابا وافيا ومنظما في فن الخطابة )[٢٣]. لذا إن للخطابة أهمية كبيرة وبسبب هذه الأهمية فإن لها وظائف عامة مثل:

١. الدفاع عن الرأي العام في أي من الأمور والحث على الاقتناع بمبدأ من المبادئ.
٢. التحريض على اكتساب الفضائل والكمالات[٢٤].
٣. اجتناب الرذائل والسيئات، فلا يتبع الناس خطيباً يستعمل الألفاظ النابية مما يؤدي إلى نبذ تلك الكلمات ومن يستعملها مما يؤدي إلى الابتعاد عنها.
٤. إثارة شعور العامة وإيقاظ الضمير والوجدان فيهم.
٥. إعداد النفوس لتقبل ما يطرحه الخطيب من خلال المقدمة والتمهيد الجيدين.
٦. تعد الخطابة ضرورة اجتماعية وسلاح يحتمي به الناس.

---

[١٧] سورة الزخرف، الآيات من ٥١-٥٤
[١٨] الخطابة لأرسطو، ترجمة إبراهيم سلام، الطبعة الأولى، بيروت، صفحة ٩١.
[١٩] تاريخ الحضارة، شارل سنبوس، ترجمة محمد كرد علي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،صفحة ١٠١.
[٢٠] بتصرف، فن الخطابة، الحوفي، صفحة ٢٠٨.
[٢١] المصدر السابق.
[٢٢] الحضارة الهلينية، كروازيه موريس، ترجمة محمد علي كمال، مطبعة دارالتأليف، مصر، ١٩٦٣م،الطبعة الأولى، صفحة ١٣٣.
[٢٣] بتصرف، الإبراهيمي عبد الجواد، النطق التعليمي منهج جديد في تعليم المنطق، صفحة٢٢٦.
[٢٤] أرسطو، الخطابة، بدوي، صفحة ٧.

## قيمة الخطابة :

تتبين قيمة الخطابة منذ أن كانت ( سلاحاً مادياً ومعنوياً للمجتمع المدنيّ الإنسانيّ في سلمه وحريته وفي ترقيته والإسراع به نحو المثل الأعلى التي يجب أن يقصد إليها )[٢٥]. ولقد استعملها اليونان لغرض التمييز بين الحق والباطل والفصل في المنازعات ومساعدة العدالة على القصاص من الجاني وتبرئة المتهم البريء وحماية المجتمع من الجريمة لذلك يجب على القاضي والنائب أن يتعاونوا على إحقاق الحق ولكن اليونان نفسهم عندما رأوا مدى تأثير الخطابة قاموا ( بسن القوانين لمنع الخطباء من استخدام الوسائل المثيرة للوجدان )[٢٦]. إن الخطابة تمثل السلاح الذي يكسب العزيمة والقوة للجنود فيمضون واثقين بالنصر على الأعداء، وتمثل غصن الزيتون الذي يدعو إلى السلام في عالم الخصام، والقوة السحرية التي يقود من خلالها السياسيون والمصلحون أممهم إلى أرقى أشكال الحضارة وهي أيضاً لسان الأحزاب الذي تنشر به دعوتها أو تنتصر على خصومها، ونور يهدي القضاة إلى العدالة وبراءة المظلوم والقصاص من الباغي وفي العصر الحديث نلاحظ أنها من تستند عليه الديمقراطية ويتسلح بها المؤتمرون في المجمعات الدولية ويرتقي بها المحامون للصيت والثراء، ومن هنا نلاحظ أن للخطابة أهمية كبيرة إذ أنها تدخل في مجال الدين لهداية الناس، وفي الجامعات لرفع مستوى العلم والتوصل إلى الحقائق المهمة التي تغير مستوى العلم إلى ما هو أفضل.

## خامساً : الخطابة بين العلم والفن:

فن الخطابة له أهمية كبيرة بالنسبة للمحاضرين والمعلمين والقادة حيث تدخل في كافة المجالات ( فهي من الفنون الضروروية للذين يريدون أن يصبحوا خطباءً حيث يجب أن يستوعبوها ويتعلموها بدقة وإتقان وبذلك بجانب كونها فن فهي علم لأنها تحتوي على أصول وقواعد لأنها تعلم الخطيب كيفية التكلم وإلقاء الخطبة وطرح الفكرة والتأثير بالمستمعين وإضافة لذلك هناك علوم تساعد معرفتها الخطيب كثيراً في أداء مهامه الخطابية ومنها علم النفس والتربية والاجتماع وعلم النفس الاجتماعي ولا بد من دراسة ما هو مفيد من هذه العلوم وليس التخصص بها وعلى الخطيب أن يدرس كتب المحاورات والمناظرات في الكتب الأدبية )[٢٧]. ولقد ورد في المعجم الوسيط أن الفن هو ( التطبيق العملي في النظريات العلمية بالوسائل التي تحققها وفي ضوء هذا أن الفن الخطابي هو ممارسة العلم الخطابي وتحقيق أو تطبيق أصوله الخطابية النظرية في الخارج وأدائها بصورة صحيحة ولا بد من التأكيد هنا بأن الفن وحده لا يكفي في النجاح )[٢٨].

فلا بد من تحضير المادة الجيدة ومن ثم أعداد الخطيب ليس فقط بوصفه خطيباً بل بوصفه فناناً يترجم واقع الحياة على الورق فلا بد للخطيب من أن يكون ذا ثقافة واسعة وذا معرفة بأصول الخطابة وقواعدها ومتقناً للفن الخطابي بيكون ناجحاً، أما الخطابة بوصفه علماً ( يقوّم ثقة الإنسان بنفسه فعندما يستدعى الإنسان للوقوف على المنصة لا بد له من أن يتحلى بالثقة ليصل إلى التفكير القويم إضافة إلى أن هذا العلم يساعد على الترتيب الأفكار بشكل منطقي )[٢٩].

---

[٢٥] بتصرف، الشيخ المظفر، المنطق، النجف، ١٩٦٨م، صفحة ٤١٧.
[٢٦] مذكرة في علم الخطابة، عزيز عبد الغفار محمد، السعودية، ١٩٩٧م.
[٢٧] المقدسي محمد الباقر، فن الخطابة الحسينية النجف،١٤٢٦ه، صفحة ٧٤.
[٢٨] العاملي معين دقيق، دروس في البلاغة، صفحة ١٥.
[٢٩] كارنيغي دايل، فن الخطابة وكيف تؤثر في الناس، بيروت ٢٠٠٨م، صفحة ١١.

ولعل البحث عن واضع علم الخطابة قبل أرسطو كان مستحيلاً وذلك لعدم وجود مصادر موثوق بها بين أيدينا لأن هذا العلم أتى مع نزول الإنسان إلى الأرض ولكن واضع هذا الفن هو أرسطو[٣٠]. والخطابة لا بد أن تلتزم كباقي الفنون الأخرى فإذا اعتمد الخطيب على الدراسة وحدها ولم يضف إليها الإلقاء الخطابي فهو محاضر وليس بخطيب ولذلك يجب أن يقوم الخطيب بإثارة مشاعر المتلقين من خلال تصويره الجميل وخياله الواسع[٣١].

# الفصل الثاني :

# الخطابة في الجاهلية:

## أولاً : الخطابة وأهميتها في الجاهلية:

تُعَد الخطابة وجه من أوجه النشاط الفكري عند الجاهليين. وقد كان للخطيب مكانة كبيرة للسانه وفصاحته ، والمدافع عن قومه والمتكلم باسمهم ، وهو بذلك يشبه الشاعر في وظيفته. وقد ذكر أهل الأخبار أسماء جماعة من الخطباء ، اشتهروا بقوة بيانهم وفصاحة لسانهم ، ومنهم مَنْ اشتهر بالشعر إلى جانب الخطابة مثل عمرو بن كلثوم. وقد كان الشاعر في الجاهلية كما قال الجاحظ يُقدَّم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشعر للاعتداد بأيامهم وذكر مآثرهم والتهويل على العدو وتخويفه فيهاب الشاعر شاعرٌ آخر فيراقبه ، فلما كَثُر الشعراء أصبح الشعر تكسُّباً وتعرُّضاً إلى أعراض الناس ، وصار الخطيب عندهم فوق الناس. وكان الجاهليون يحبون الخطيب جهير الصوت_ ويذمون ذا الصوت الضئيل قليل التلفت_ نظيف اللباس وصادق اللهجة وشريف الأصل ، ويحبون أيضاً الخطيب المؤثر في السامعين ، وكانوا يعدونهم بمثابة الألسنة الناطقة لهم إذا تفاخروا أو تفاضوا على أمر أو أججوا حرباً.. ولهذا صارت الخطابةُ ذا مكانة عالية.

وقد كان حمل العصا المخصرة دليل التأهب للخطبة ، والتهيؤ للإطناب والإطالة وهذا شيء خاص بالعرب، ومقصور عليهم ، وذكر أن من عوائد الجاهليين أن يكون الخطيب على زي مخصوص في العمامة واللباس. كما ذُكر أن منهم من كان يخطب وهو على راحلته وذكر الجاحظ أن الشعوبية طعنت على أخذ العرب في خطبها المخصرة والقناة والقضيب ، والاتكاء والاعتماد على القوس ولم يبلغ الشعراء في الخطابة مبلغ الخطباء ، وأن الخطباء دون الشعراء في الشعر ، ومن كان يجمع بين الاثنين قليل.

وذكر الجاحظ أن العرب استخدموا الموزون والمقفى والمنثور في مساجلة الخصوم ، والرجز في الأعمال التي تحتاج لهمة ونشاط وفي المجادلة والمحاورة كما استخدمت العرب الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة والمنثور في الأغراض الأخرى.

---

[٣٠] بتصرف، بدوي ابراهيم، فن الخطابة، بيروت،٢٠٠٨م، صفحة ٣٠.
[٣١] بتصرف، أحمد الحوفي، فن الخطابة، صفحة ١٢١.

وكان الخطباء أميين يقولون خطبهم بشكل مرتجل دون استعانة من أحد وتميزوا بالبديهة والكلام الجيد ذي الاسترسال دون تكلف ولا قصد.

وقسم الجاحظ الخطب إلى قسمين هما : الطوال والقصار حسب الموضع والمناسبة ، وقد اقتضت الظروف الاجتماعية والسياسية في الجاهلية أن يقيم العرب للخطابة وزناً خاصا في المفاوضات التي تكون في داخل القبيلة للنظر في أمورها وشؤونها الخاصة أيام السلم أو أيام الحرب ، وهذه الأمور ساعدت على بروز خطباء بلغاء يحسنون التصرف ويتلاعبون بالألفاظ كالعجينة بين أيديهم ولهذا كانت العرب تختار مَن هو أبلغ لساناً وأقوى بياناً حتى يتحدث باسمها.

وقد عُرفت جماعة من الخطباء بإلقاء المواعظ والنصائح في أمور الدين والأخلاق والسلوك والتفكير ، وهم قوم تأثروا بالمؤثرات الثقافية التي كانت سائدة في أيامهم بسبب وجود اليهود والنصارى بينهم ، وبسبب اتصالهم بالرهبان والمبشرين من داخل جزيرة العرب وخارجها ، فأخذوا يحثون قومهم عل التعقل والتأمل والتفكير في أمور دينهم ودنياهم ، وترك عبادة الأصنام ، وعُرف عن الجماعة القراءة والكتابة ودراسة التوراة والإنجيل ، وقد أطلق عليهم اسم "الأحناف".

## أهم أغراض الخطابة عند أهل الجاهلية:

١- التحريض على القتال.

٢- إصلاح ذات البين ولم الشمل.

٣- السفارات إلى القبائل أو الملوك لأغراض مختلفة كالتهنئة والتعزية.

٤- الجلوس لحل الديات وإنهاء نيران الثأر.

٥- التفاخر والتنافر والتباهي بالأحساب والأنساب والمآثر والجاه والمال..

٦- الحث على التعقل والتفكير كما في خطب قس بن ساعدة الإيادي ، وفي خطب الأحناف..

٧- الوفادات على الملوك حيث تقتضي إلقاء الخطب.

٨- تعداد مناقب ميت.

## ثانياً : أشهر الخطب والخطباء في الجاهلية :

من أشهر الخطب المنسوبة للجاهليين تلك التي زُعم أن أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة ، وهما من تميم والحارث بن ظالم وقيس بن مسعود وهما من بكر وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل من بني عامر قالوها في مجلس كسرى ، يوم أرسلهم النعمان بن منذر إليه ليريه درجة فصاحة العرب وقوة بيانهم مما أثار إعجاب كسرى بهم لدرجة العجز عن تفضيل أحدهم على الآخر ، مما جعله يقر ويعترف بفصاحة العرب وقوة عقلهم ، وهي خطب مصنوعة ، قد أرادت الرد على الشعوبيين الذين كانوا ينتقصون من قدر العرب ، فعُملت تلك الخطب والمحاورة في الرد عليهم.

وقد ذكر أهل الأخبار مجموعة من الجاهليين قالوا إنهم من خطباء الجاهلية المعروفين ، وأدخلوا بعضهم في المعمَّرين ، وأهمهم :

١- دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن أسود الحميري ، ونسبوا إليه وصية أوصى بها بنيه.

٢- زهير بن جناب بن هبل ، وهو من المشهورين بقوة الفصاحة والمنطق عند الجاهليين ، وقيل إنه سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وحازي قومه وفارسهم ، ونُسبَ إليه وصية أوصى بها بنيه.

٣- مرثد الخير بن ينكف بن نوف بن معديكرب بن مضحى ، وهذا كان من أخطب الخطباء وأفصح الفصحاء وزعموا أنه من مصلحي ذات البين.

٤- الحارث بن كعب المذحِجِي ، وكان من الطبقة البليغة التي اشتهرت بسحر البيان ، وذُكر له وصيه لأبنائه.

٥- كعب بن لؤي ، وكان يخطب على العرب عامة ، وكان خطيباً خيراً طيباً.

٦- عبد المطلب وهو من جملة خطباء قريش ، وكذلك خويلد بن عمرو وهو من خطباء غطفان وذي الأصبع العدواني وهو من حكام العرب .

٧- عطارد بن حاجب بن زرارة ، وقد خطب أمام الرسول.

٨- سحبان بن زفر بن إياس ، وهو خطيب ضُرب به المثل في الفصاحة ، فيقال : ( أخطب من سحبان وائل ) و ( أبلغ من سحبان وائل ) و( أفصح من سحبان وائل ) .. وقيل إنه أدرك معاوية ، وعرف بخطبته " الشوهاء" لحسنها وجمالها وبراعة نظمها.

٩- صعصعة بن صوحان من بني عبد القيس ، وقد اشتهر بالفصاحة والخطابة.

١٠- قس بن ساعدة الإيادي ، وكان قريب عهد من الإسلام ، وقد رآه الرسول وسمعه يتكلم ، وكان من حكماء العرب وأعقلهم ، وهو أول مَن قال : أما بعد ، وأول من قال : البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، وأول من اتكأ على عصا في خطبته ، وأول من خطب على شرف كما ضُرب به المثل بالفصاحة والبلاغة، وهذا مثال من خطبة له: (أيها

الناس، اسمعوا وعوا، وإذا سمعتم شيئا فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا. ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج. ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا؟ تبا لأرباب الغافلة والأمم الخالية والقرون الماضية.[٣٢] )

١١- الصباح بن شفي وهو من خطباء العرب.

١٢- سهيل بن عمرو الأعلم ، وقد أدرك الإسلام وأسلم ، وهو من الخطباء النابهين ومن أصحاب الرأي والبيان.وكان يتم اختيار الخطباء المتكلمين المعروفين بأصالة الرأي وسرعة البديهة والجواب ، ليبيضوا الوجوه ، ويؤدوا المهمة على أكمل وجه خاصة في الأوقات الحرجة وفي الوفدات على الملوك. والخطابة عند الجاهليين حقيقة لا يستطيع أحد أن يجادل في وجودها ، ودليل ذلك خطب الوفود على الرسول ، وهي لا تختلف في أسلوبها عن أسلوب الجاهليين ، فكان لها شان عظيم في الجاهلية والإسلام.

## ثالثاً : الخطابة عند العرب :

وإذا وجهنا وجهتنا إلى الأمة العربية وجدناها قد بلغت من الفصاحة والبلاغة والبيان ما لم تبلغه أمة من الأمم قبلها أو بعدها . وكان الشعراء والبلغاء هم فخر القبيلة وعزها ومجدها، وكان من أشهر خطباء العرب قس بن ساعدة الأيادي ، الذي يقول في خطبته " يا أيها الناس اسمعوا وعوا . وإذا وعيتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت . مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جمع وشتات آيات بعد آيات ....

نرى في هذه الخطبة الرائعة جزالة اللفظ وقصر الفواصل واستنتاج العبر من حوادث الأيام ومما يحيط بالإنسان ومن مصارع الطغاة ، وكأنه يجول في الكون ليستدل به على فكرته وعلى وضوح غايته . مما يظهر براعة الخطيب ورسوخ قدمه في عالم البيان والحجة . وكان من خطباء العرب المشهورين ، خارجة بن سنان خطيب داحس والغبراء ، وخويلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار ، وأكثم بن صيفي وغيرهم كثير.

وبعث الرسول ﷺ في الأمة العربية بمعجزة لم يأت نبي أو يبعث بها رسول ، ألا وهي كتاب يتلى وبيان يقرأ ، فاق كلام البشر وقدرة الخلق وبلاغة الإنس والجن إلى يوم القيامة وصدق الله {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[٣٣]

وكان رسول الله ﷺ أفصح الناس وأبلغهم وأخطبهم وتراث رسول الله ﷺ محفوظ ومدون.

---

[٣٢] خزانة الأدب - البغدادي - ج٢ - الصفحة ٨٠

[٣٣] (٨٨) سورة الإسراء

ولقد بلغت الخطابة زمن الخلفاء الراشدين المكانة المرموقة واللائقة بها ، فكان الخلفاء خطباء ، يخطبون الناس في الجمع والأعياد والمناسبات ويخطبون الجيوش ويوجهون القادة.

وقد اقتبست الخطبة من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة نصاعة البيان وقوة الحجة وجزالة العبارة ورقتها . وتجنبت سجع الكهان والفخر والغرور ومدح القبيلة ونتن العصبية واستعلائها بالآباء إلى غير ذلك من عادات الجاهلية.

فاكتسبت بذلك قوة التأثير ووصلت إلى شغاف القلوب وغزت كل جنس ولون وارتفعت إلى نطاق الرسالة العالمية والحقيقة الإنسانية والعزة الربانية . وطغت بذلك على الشعر ، حتى ترك بعض الشعراء الفحول الشعر بعد مجيء القرآن الكريم والسنة لما لهما من تأثير وبلاغة لا يرقى إليهما شيء .

# الفصل الثالث : أنواع الخطب وخصائصها:

## أولاً : التقسيم الحديث للخطابة :

جاء العصر الحديث وتشابكت فيه المصالح وتداخلت فيه الأمور وكثرت فيه الاهتمامات والعادات والتقاليد الوافدة منها والأصلية ، الحديثة منها والقديمة ، فتعددت فنون الخطبة وتنوعت واتسعت ، ساعد على هذا تنوع مصادر الإعلام وتعدد قنواته وأجهزته ودراساته وتخصصاته .

وكان للمحدثين تبعاً لهذا تقسيمات معينه تخالف تلك التقسيمات القديمة ، أو قل تحتويها وتزيد عليها ما احتاج إليه العصر والمجتمع ، من أهم تلك التقسيمات ما يلي:

١- الخطابة الوعظية : وهي الخطبة التي تتعلق بالعقيدة والإيمان وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتحض على إتباع أوامر الله سبحانه وتعالى وغالبا ما تكون هذه الخطبة في دور العبادة أو في الأماكن المعدة لذلك.
٢- الخطابة السياسية : وهي الخطبة التي تهتم بالشؤون العامة للدولة خارجيا وداخليا تبين إرادة الأمة وسلطانها أو تبين حريتها وانطلاقها . ويشمل النوع الخطبة الانتخابية والبرلمانية.
٣- الخطابة القضائية : وهي الخطب التي تكون في الخصومات ، وتلقى تلك الخطب في ساحة القضاء وفي دور المحاكم من المحامين أو من النيابة أو من المدعى عليه.
٤- الخطب العسكرية : وهي الخطب التي تلقى في الجنود لتحريضهم على القتال وزيادة قوتهم المعنوية .

٥- الخطابة في المحافل : وهي الخطب الاجتماعية التي تكون في المناسبات والمواقف مثل : خطب التأبين والمدائح ، ومحافل الأفراح ، والتهاني بالقدوم من السفر أو من حادث أو بنجاح في شهادة أو غير ذلك من المناسبات المختلفة .

## اتجاهات الخطب الاجتماعية :

تتعدد اتجاهات الخطب الاجتماعية تعددا يشمل كل أوجه النشاط الاجتماعي في المجتمع الذي يوجد فيه الخطيب ، من ذلك ما يلي .

١ – خطب التهاني والبشريات :

لا شك أن مجاملة الناس في المجتمع المسلم مطلوبة والتآخي معهم واجب وذلك بالمشاركة في أفراحهم وأحزانهم وما يهمهم ، فللتهاني بالعيد مثلا مجال، وللتهاني بالزواج مجال ، وكذلك النجاح ، وقدوم مولود إلى غير ذلك من البشريات التي حث الشرع الكريم عليها وجاء طرف من ذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢- خطب المشروعات والمرافق :

من الخطب الاجتماعية تلك الخطب التي تحث الناس على إنشاء المدارس لتعليم أولاد المسلمين وتثقيفهم وطرد شبح الجهل عنهم ، وإنشاء دور لتحفيظ القرآن ، ورعاية كتاب الله تبارك وتعالى ، إنشاء مكتبات عامة ثقافية إسلامية تساعد النشأ وتصلهم بتراثهم وحاضرهم ومن المشروعات المهمة أيضاً بناء المساجد وإعمار بيوت الله سبحانه وتعالى والعناية بها.

٣-خطب التكافل الاجتماعي ومحاربة الفقر ، فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، فيجب على المسلم أن يرعى أخاه ويقدم له ما يحتاج ويعاونه فيما لا يستطيع.

٤- خطب الزواج وتهنئة العروسين والإعلان عن الزواج بالفرح والسرور بما أحل الله من الطيبات ليعلمه الخاص والعام والقريب والبعيد . ويكون بما جرت به العادة ودرج عليه عرف كل جماعة بشرط ألا يصحبه محظور نهى عنه الشرع كاختلاط الرجال بالنساء ونحو ذلك .

٥- خطب التأبين أو الرثاء :

وهي الخطب التي تقال في إظهار مناقب الرجال عند وفاتهم وفاء لهم على ما أسدوا من جميل وحسن صنيع ، وعلى ما قدموا لأمتهم ولشعوبهم من عزة وكرامة ورخاء واستقلال وتقدم ، وهم بذلك يحثون السامعين على اقتفاء آثارهم وترسم خطاهم ليكون ذلك امتداد لجهودهم وتعزيه عن فقدهم.

وذكر محاسن الموتى جائز إسلاميا ولا شيء فيه وكذلك رثاؤه أي مدح الميت بعد موته . يقال رثيته بعد موته ورثيت له إذا حزنت عليه . وليس هذا معارض بنهي الرسول ﷺ عن المراثي التي هي ذكر أوصاف الميت الباعثة على تهيج الحزن

وتجديد اللوعة . وقد رأينا كثيرا من الصحابة يرثي بعضهم بعضا ومن ذلك رثاء الإمام علي رضي الله عنه لأبي بكر الصديق بعد موته.

## ثانياً : ما خصائص الخطابة التي تميزها؟

ونقول : إن الخطابة لون من ألوان الكلام المنثور، فهي نثر ولكنها تختلف عن النثر الفني، حيث لا يستحب فيها السجع المتكلف، بل لها يستحب العبارة الرائقة الخالية من التكلف، وهي كذلك تختلف عن الشعر، حيث إنها لا تلتزم الوزن ولا القافية، ويلتزمهما الشعر، مع الخيال الواسع الذي يجوب الدنيا بجميع مظاهرها، لكن الخطابة تلتزم عرض المواضيع الجادة، التي تشغل بال الجماهير، في موضوعية لا تعرف الخيال، وإن كانت تحرص على السيطرة على العاطفة والخطابة عملية مشافهة وإلقاء، تميزت عن الكتابة المدونة التي يقرأها الجمهور دون مشافهة، والمتتبع لكتابة العلماء يجدهم خصصوا الخطابة بما يلي:

أ- خصائصها في ألفاظها:

ألفاظ الخطابة سهلة جزلة، بعيدة عن التعقيد اللفظي والمعنوي، إذ أن العبارة الرائقة، تساهم في تحصيل ثمرة الخطابة، حيث يصل الخطيب بها إلى إقناع الناس من أقرب طريق.

اقرأ كلام النبي في خطبة الوداع، تجد السلاسة والعذوبة ومنها: (أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها)

ب- خصائصها في موضوعاتها:

تمتاز الخطابة في موضوعاتها، بمناسبتها لحال الجماهير، حيث تخاطب عواطفهم، وتناقش ما يشغل بالهم، وتقدم الحلول لمشكلاتهم، ليجد فيها الناس متنفسهم، ويحصلوا منها على ما يقنعهم ويشفيهم.

أما حين يجنح الخيال بالخطيب، فيخاطب الناس في موضوع لا يشغلهم ولا يحتاجونه، أو هو واقع خارج دائرة عقولهم، فذلك يخرج بالخطابة عن ميزتها، ويجردها من فائدتها، ويجعلها مثل الشعر في خيالاته وتصوراته، و يقيم حاجزا نفسيا بين المستمعين والخطبة، كمن يتحدث وسط العوام عن خطر الابتعاث إلى الخارج..... أو من يدعو الفقراء العاطلين عن العمل والكسالى عن السعي، إلى الزهد في الدنيا.

ومن خصائصها في موضوعاتها أنها لا تعرف موضوعا واحدا، بل موضوعها الحياة كلها بما فيها من علوم، وفنون، ومهن، وحوادث، وعلى الخطيب أن يكون له إلمام بكل صنف من المعارف، بل ينبغي له أن يوسع كل يوم مداركه، فإن كل مسألة عامة، أولها صلة بشأن عام، يصح أن تكون موضوع الخطابة كحب الوطن، وإقامة العدل والنظام، وتسكين

الفتن، والتمسك بالفضيلة، وغير ذلك، بل من المسائل الخاصة ما هو موضوع للخطابة كالخصومات، فإن المحاكم ميدان للخطابة.

ت- خصائصها في أسلوبها:

الخطابة لا تعرف شكلا واحدا من الأساليب، وإنما يختلف أسلوبها تبعا لتنوع الجمهور المتلقي، لذلك كانت الخطابة في الصفوة من المثقفين، ذات أسلوب رفيع، وبلاغة عالية، وطريقة في العرض خاصة، ولا مانع من التقسيمات العلمية والتعليق عليها.

وخطاب العوام، له أسلوب سهلٌ قريب التناول، ليست فيه التقسيمات العلمية والمصطلحات الفنية.

وخطاب الجمهور، الخليط من المتعلمين والعوام «وأنصاف المتعلمين» يحرص فيه الخطيب على الممازجة بين الأمرين، ليرضي أذواقهم، ويسيطر على عاطفتهم.

ث- خصائصها في معانيها:

معاني الخطابة ينبغي أن تكون مفهومة للجمهور، واضحة جلية، يبينها الخطيب بحيث تدركها الأفهام بلا عناء، لهذا تبتعد الخطابة عن الإغراق في المعاني، أو التقعر فيها، أو الجنوح فيها إلى الخيال.

ج- خصائصها في الإقناع:

الإقناع في الخطابة لازمة من لوازمها بل غرضها الأساسي الذي تدور حوله وتسعي له، وهو، في الخطابة، أيسر وأقرب في الإقناع من غيرها من فنون القول المختلفة، لأن الخطابة حرة لا تلتزم وزنا ولا قافية كالشعر، ولا تلتزم المصطلحات الجافة كالعلوم المختلفة، ولا تُغْرق في التقسيمات الفلسفية، بل هي تعتمد على وسائل عديدة في الإقناع كالاستفهام، والإنكار، والتقرير، والمشاهدات البدهية لدي المستمع، والقسم، والنداء، والتمني، والقصة، والمثل، وغير ذلك. لذا كان جمهورها أكبر، وميدانها أرحب وأوسع.

علاقة الخطابة بغيرها من العلوم:

العلوم المختلفة يخدم بعضها بعضا، ويكمل بعضها بعضا. ولما كانت الخطابة علما وفنا يقوم على الحجة الساطعة، والبراهين القاطعة، والأداء المعبر، وحسن الصلة بالجماهير التي تتلقي عن الخطيب، لما كانت كذلك، احتاجت إلى غيرها من العلوم التي تساعدها على أداء مهمتها، والنجاح في هدفها، والوصول إلى غايتها.

وهذه العلوم منها : علم الاجتماع، علم النفس، وعلم المنطق، والأخلاق وعلوم اللغة والأدب لذلك كتب مشايخنا عن هذا الموضوع، وأبرز من كتب فيها العلامة الشيخ محمد أبو زهرة- رحمه الله- والعلامة الشيخ علي محفوظ- رحمه الله- وغيرهما.

وها نحن نلقي الضوء على ذلك:

علاقة الخطابة بعلم الاجتماع:

ما هدف علم الاجتماع، وبم يعني؟

إن هدف علم الاجتماع، هو دراسة المجتمع البشري وأحوال البشر، والمشكلات التي يعيشونها، ومناقشة ودراسة أسبابها،

ومحاولة الوصول إلى حل وعلاج لها.

وهو لذلك يُعني بما يلي:

١- دراسة الظواهر الاجتماعية.

٢-القيام بتحليلها للكشف عن القوانين التي تحملها.

٣-إظهار العلاقة بين القوانين والنظم.

فماذا يجمعه بالخطابة إذن؟

الخطابة تحتاج بالفعل إلى كل هذا، لأن الخطيب سيتعامل مع الجمهور ولابد له حينئذ من معرفة واقع المجتمع البشري، ومشكلاته الطارئة التي تحتاج إلى علاجها والطب لها. ولا شك أن الخطيب الدارس لعلم الاجتماع بنظرته الإسلامية، يستطيع أن يفعل ذلك، مما يساعده على النجاح في رسالته وتحقيق هدفه.

يقول شيخنا العلامة علي محفوظ- رحمه الله- فيما يلزم الداعية والخطيب: العلم بحال من توجه إليهم الدعوة في شؤونهم، واستعدادهم، وطبائع بلادهم، وأخلاقهم أو ما يعبر عنه في العرف بحالتهم الاجتماعية، وقد روي أن من أسباب ارتضاء الصحابة خلافة أبي بكر، كونه أنسب العرب، ومعناه أنه كان أعلمهم بأحوال قبائل العرب، وبطونها وتاريخ كل قبيلة، وسابق أيامها وأخلاقها كالشجاعة والجبن، والأمانة والخيانة، ومكانها من الضعف والقوة والغني والفقر، وما كان إقدامه -مع ما عرف عنه من اللين وسهولة الخلق- على قتال أهل الردة، إلا لهذا العلم الذي كان على بصيرة، فلم يهب ولم يخف، وقد خاف عمر في شدته المعروفة على الكافرين والمنافقين، أي خاف أن تضعف شوكة الإسلام بمحاربتهم ويذكر شيخنا العلامة محمد أبو زهرة- رحمه الله- في ذلك كلاما جميلا عن الفارابي حيث يقول:(إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته وحسن سياسته نفسه في أموره، فليتوخ طباع الناس وتلون أخلاقهم، وتباين أحوالهم)، وقال أفلاطون:- لكل أمر حقيقة، ولكل زمان طريقه، ولكل إنسان خليقته، فعامل الناس على خلائقهم، والتمس الأمور من حقائقها، وأجر مع الزمن على طرائقه.

ثم يقول-رحمه الله-: وهذه قوانين تنفع الخطيب في متصرفاته مع كل طائفة من أهل طبقته ومن دونه، ومن فوقه على سبيل الإيجاز والاختصار وهذا يدل على أن انتصار الخطيب فيما يتقدم في الدعوة إليه- يستدعي إلماما بسياسة الناس، وما يجب لكل طبقة من المعاملة، وما يلزم لكل صنف من الناس من خطاب، ويجب عليه أن يكون عليما بروح الجماعة، دارسا لأخلاقها، فاهماً لما يسيطر عليها، وإذا كان ذلك جد لازم للخطيب، فمن الواجب إذا أن تكون قوانين الخطابة متصلة بقوانين الجماعات وناموسها، مُسْتمدة منها قوة، ومن مشاربها مسالك، وأنت تري من هذا قوة الاتصال بين علم الاجتماع وعلم الخطابة.

## ثالثاً : أهمية الخطابة في تبليغ الدعوة :

تتلخص أهمية الخطابة فيما يلي :

**١-** الخطابة في الدعوة إلى الله واجبة ، لأنها لازمة لتبليغ الدعوة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فالدعوة يلزمها صوت قوي وفكر ذكي وبيان ناصع وصوت داو ، والخطابة رسول ذلك وبلاغة وحامل هذا وسلطانه.

**٢-** الخطابة للداعية كالمصباح ينير الطريق ويكشف الدرب ويهدي الضال ، ومما يجب التنبيه عليه ، أنه ليس بالضرورة أن يهدي المصباح حامله ، فقد يكون حامله أعمى لا يرى أو مكفوفا لا يبصر أو كسيحاً لا يستطيع الحركة ، أما إذا كان بصيرا وقادر وماهر فإنه يفتح مغاليق القلوب ويضيء دياجير العقول ، وصدق الله {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[٣٤]

**٣-** الخطابة بالنسبة للداعية سلاح يدافع به عن دعوته ، يرد به كيد الكائدين وجحود الجاحدين ، وعنت الضالين ، فكم من منافق عليم اللسان ومنحرف صاحب بيان وفاسق يحمل فكرا ، وشيطان يلوح بحجة ، فيأتي الداعية الفصيح صاحب الحجة فيدفع الركب الضال والموكب اللعين وينسف الباطل المنتفخ ، ويرفع الحق الأبلج والحجة المضيئة.

٤- الخطابة وسيلة لصياغة المبادئ ، وإظهار جلالها ورفعة شأنها أنها سبب سيادة الحق.

٥-الخطابة هي صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصيانة جسد الأمة من الهدم والتخلل ، كما أنها لازمة لطرد الأهواء وإزالة الشياطين ، وعلاج الأمراض الدخيلة والمتوطنة. والبرهان الحسي قائم على أن الأمة التي انتشر فيها خطباء الإصلاح وقادة الفكر تحيا بمقدار جهدهم وكثرتهم وتأثيرهم.

٦- الخطابة لازمة لسياسة الأمم والشعوب ، فإن ولاة الأمر يعنون باطلاع المسلمين على سياستهم وسنة حكمهم وينتهزون الجمع والأعياد والمناسبات المختلفة خصوصاً في موسم الحج فرصة لذلك ، كذلك تكون وسيلة لتسكين الفتن وبعث المودة . كما أنها لازمه لإعداد الجيوش ودفعها إلى الجهاد ورفع راية الحق .

---

[٣٤] (٤) سورة ابراهيم

# الخاتمة :

لقد وصلنا إلى نتائج مهمة عن الخطابة وأهميتها وخصائصها العديدة وغيرها من الأمور حيث وجدنا أن:

١. الخطابة ليست مجرد كلام يقال إلا أنها علم له قوانينه وأسسه إلا أنها ليست مجرد علم نظري بل هي أكثر من ذلك بكثير فهي إحساس وشعور بل وحتى فن فالخطيب لا يمكنه أن يطبق القوانين تطبيقاً جامداً حيث هو بحاجة إلى إحساسه بالموقف ولمسته الخطابية وطابعه الشخصي وهذا هو سبب شهرة بعض الخطباء.
٢. الخطابة كانت الفن الوحيد الذي طالب بحقوق المظلومين من الطغاة والإقطاعيين منذ نشأتها حيث كانت صوت الضعفاء من خلال أشخاص كانوا يقودون هؤلاء الضعفاء إلى حقوقهم ويذكرونهم بها.
٣. لقد كانت وسيلة لانتشار الديانات السماوية وإقناع الناس بها من خلال المنطق الصحيح والكلمة العذبة والأسلوب الراقي والجميل للأنبياء والرسل.
٤. إن الخطابة ليست حكراً على شعب أو على حضارة أو على زمن أو حقبة فهي منتشرة في كل مكان وزمان حيث امتدت من عصر الفلاسفة اليونانيين إلى عصر الجاهلية ثم العرب المسلمين وحتى وقتنا الحالي.
٥. لاحظنا بأن الخطابة وسيلة للدفاع عن الرأي وتوضيحه حيث كانت عاملاً مهماً في انتشار الدعوة الإسلامية ودخول العدد الكبير في الإسلام حيث كان الخطباء المسلمون يذكرون الأسس الإسلامية بطريقة تجعل الإنسان يزداد رغبة في معرفتها واتباعها.
٦. للخطابة خصائص عديدة حيث أنها لا تلتزم بموضوع واحد أو فكرة معينة، بل هي تشمل جميع أجزاء الحياة وهي لا تعتمد أسلوباً واحداً في المقول بل تتعدد الأساليب وتتوافق مع احتياجات المجتمع، ومن أهم الأشياء أنه يجب استخدام الكلمات الجميلة البسيطة الخفيفة على السمع.

ومن هنا تكونت لنا فكرة عن مدى أهمية الخطابة وفوائدها وكم هي مفيدة لمن يجيدها حيث ترقى به إلى أعلى المراتب ومنها يحصل على ما يريد بالكلمة الجميلة والأسلوب الجذاب.